



من يقلب صفحات التاريخ الإسلامي يجد بأن الغزاة المعتدين على ثغوره ومدنه.. هم مع غزوهم العسكري يجتهدون على مسخ الدين الذي هو سر قوة المسلمين وسبب نهوضهم ومادة كيانهم ويقائهم وعزهم وازدهارهم.. وهذا حال الأمم المنتصرة فهي تسعى إلى فرض نمطها الديني والسلوكي على الأمم المقهورة والمهزومة... فلما هاجم التتار بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية اصطحبوا معهم نصير الدين الطوسي الفيلسوف.. الذي حاول إطفاء نور النبوة وضياء القرآن.. بزباليات الفلسفه من أمثال أرسطو وابن سينا والفارابي..

لكن الله كان لهم بالمرصاد وفشل خطتهم.. وعندما غزا نابليون مصر دعم التصوف بل أمر بإحياء الموالد.. يذكر المؤرخ المصري الجبرتي أن المستعمرات الفرنسية عندما احتلوا مصر بقيادة نابليون بونابرت انكمش الصوفية وأصحاب الموالد فقام نابليون وأمرهم بإحيائها ودعمها.

يقول الجبرتي في كتابه (تاريخ عجائب الآثار) عن حال أحد المقامات الشركية: دفونه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالغة ولا مانع وعمل عليه مقصورة ومقاماً وواظب عنده بالمقرئين والمداهين وأرباب الأشایر والمنشدين يذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ويتواجدون ويتصارخون وينرغون وجوههم على شبابكه وأعتابه ويعرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه في أعيابهم وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً فلما حضر .. الفرنساوية " إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه في جملة المهملات وترك مع المتروكات، فلما فتح أمر الموالد

والجمعيات.. ورخص "الفرنساوية" ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي و فعل المحرمات أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.. [1] بعد انهيار الاتحاد السوفيائي كشرت أمريكا الصليبية عن أنبيابها لتنهش وتنقم من العالم الإسلامي، فجهزت الجيوش والأساطيل وأطلقت كلابها المسعورة وهم الشيعة في تحالف قديم جديد لتدمير وإبادة أهل السنة مادة الإسلام وعموده الفكري.

وقد عرف أعداؤنا بأن سر قوة أهل السنة ينبع من عقيدتهم الصافية وتوحيدهم الحالص.. لذلك هم يحاولون جاهدين تفريغ أهل السنة من حصنهم الحصين ومعقلهم المتيين.. عقيدتهم السلفية النقية. متذمرين شعار حرب غلو فكر ابن تيمية (ظلمأً وعدواناً) ظاهراً.. ويضمرون إستئصال عقيدة أهل السنة بأكملها باطناً.... فلماذا انتقاء ابن تيمية للهجوم عليه؟؟؟

في القرن السابع بدأ بريق عقيدة السلف الناصع بالخفوت على إثر ظهور وانتشار الكثير من العقائد الباطلة والمنحرفة وشمل هذا الانحراف عوام الناس وعلماءهم إلا القليل ممن رحم الله.. فالساحة الإسلامية آنذاك مضطربة وتعج بالكثير من الفرق والمقالات والمذاهب الكلامية والفلسفية، كذلك التصوف القبوري والحلولي الاتحادي والتعصب والتقليد المذهبى، وتأويل صفات الله سبحانه وتعالى الذي كان يتصدره المذهب الأشعرى، وكان يعتبره معتقدوه أنه هو مذهب أهل السنة في مقابل عقائد المعتزلة والجهمية، يضاف إلى ذلك وجود فرق الرافضة من إمامية وزيدية وباطنية درزية ونصيرية.

في كل هذه الأمواج المتلاطمة من الانحرافات نشأ وترعرع في خضمها شيخ الإسلام، كذلك ولد ابن تيمية والأمة لم تصحُ بعد من ضربات التتار والصلبيين بل استمرت حتى عند تصدره للإمامية والعلم.. لقد كان ابن تيمية نابغة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى يمتاز بذكاء فطري خارق ومفرط، وسرعة بديهية وحافظة عجيبة وسيلان ذهن.

نشأ بدمشق حاضرة العالم الإسلامي آنذاك هي والقاهرة. وتبصر في علوم الكتاب والسنة، وأمسك بزمام علوم الآلة من عربية وأصول فقه ودرس المذاهب الكلامية والفلسفية حتى أصبح رأساً لا يجارى وارتوى وتشبع من كل فن من فنون العلوم حتى أصبح يناظر المتخصصين فيه. مع ورع وقوى ومخافة لله وكرم نفس ومروءة وشجاعة في قول الحق وحسن خلق..

قال في فضله صاحب الدرر: وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس كأنه هذه العلوم بين عينيه فأخذ منها ما يشاء وينذر.. [2]

وقال جمال الدين السمرى في أماليه: ومن عجائب ما وقع في الحق من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقل في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه [3] ولقد أنصف الإمام العلامة، قاضي قضاة الإسلام بهاء الدين بن السبكي حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية: والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية، إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدرى ما يقول، وصاحب الهوى يصدح هواد عن الحق بعد معرفته به. [4]

وذكر ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.. [5] لقد اطلع "ابن تيمية" على عقيدة السلف وسبر أقوالهم وعرف مواقفهم وشرب من معين منبعهم الصافي حتى تطلع .. وفهم هذه الأقوال وهضمها ومن ثم عرضها على أبناء عصره صافية نقية وتحمل في سبيل نشرها أنوع البلايا والصعاب وصبر على ذلك الصبر الجميل.

ف الرجل مثل ابن تيمية يستحق ويكل جداره أن يكون هو عقدة الربط.. وصلة الوصل بين أجيال السلف وأجيال الخلف وقطب الرحمى في بث ونشر عقيدة خير القرون بعد أن انزالت في واقع متى ومتخلف.

فلا يبعد أن يقال إن علوم السلف قد جرت أنهاراً وصبت في شخص ابن تيمية ومن ثم بثت جداول وسوقاً وعيوناً ليروي

منها الخلف وكل طالب للحق. فجدد الله به الدين ونصر به الملة. صاحب ذلك انتصار لعقيدة الولاء والبراء في رد رائع ومفهوم ومتماضك لا يدع فيه لمبطل مهرباً ولا متنفساً، فمن يطالع كتب ردوه على فرق الضلال والزيغ يعرف قيمة هذا الرجل ومدى تشعبه بالمعرفة والعلوم ومن شاء فليتصفح كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية" في الرد على الشيعة والقدريه..

يقول الشيخ الهراس: وهو كتاب جليل القدر مملوء بالتحقيقات العلمية التي تتم عن غزارة علم وسعة اطلاع كما أن مناقشاته في هذا الكتاب، تشهد له بالبراعة في ميدان الجدل والقدرة على مناقشة الخصوم.. ويقول الهراس: وكان ابن تيمية أيضاً يعرف المسيحية وعقائد فرقها المختلفة معرفة جيدة وقد وضع كتاباً سماه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) .. هـ [6] ولا يغالي المرء في الادعاء بأنه لا توجد فرقة من فرق الضلال إلا وقد نالت نصيبها من ردود ابن تيمية عليها سواء في كتاب مستقل أو في ثانياً كتبه وهذا إن دل، فيدل على أن ابن تيمية قد خبر أقوال الفرق واكتشف مكان ضعفها وخطأها فهو: عالم بواجب وقته يعرف ما يدور حوله وما يفرضه واقعه عليه... لقد أصبح ابن تيمية يمثل بشخصه ورسمه علمًا على العقيدة الصحيحة عقيدة السلف الناصعة البياض.. وهو قدوة يمثل نهضة في زمن انحطاط مشابه لكثير من مفرداته ما تمر به أمتنا به في وضعها الراهن.

من أحب ابن تيمية فقد أحب السنة ومن أبغض ابن تيمية فقد أبغض السنة حاله كحال الكثير من علماء الأمة الذين واجهوا الانحراف ونصر الله بهم الدين.

قال قتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل من أهل البصرة يحب أليوب فاعلم أنه على الطريق وقال رجل لأحمد بن حنبل رحمة الله: من السني قال من أين أنت قال من أهل البصرة قال أتحب أليوب السختياني قال نعم قال فأنت سني [7]

قال أحمد الدورقي: من سمعتموه يذكر أحمد بسوء فاته وهو على الإسلام.... وعن سفيان بن وكيع قال: أحمد عندنا محن، من عاب أحمد عندنا فهو فاسق [8] كذلك كان ابن تيمية قائماً بميزان الحق ناشراً للسنة، وأنه الحد الفاصل بين منهج أهل السنة والجماعة والمنافق عنه، وبين منهج أهل البدع والغواية.

إن ابن تيمية مجدد من مجدهي هذا الدين ورمز للعقيدة السلفية فلا عجب أن يكون غرضاً تتوجه إليه سهام الحاذفين والحاقدين من ملل الكفر والضلال، فالطعن به هو طعن في الدين وهدم لما قعد من قواعد سلفية بل ضرب لعقيدة السلف في الصميم، فلا عجب أن كل من هب ودب وكل متربدة ونطيفة وكل صوفي مبتدع وكل شيعي محترق وكل ليبرالي زائف، يهاجم منهج ابن تيمية ولا غرابة أن تزعزع أمريكا الصليبية هذه الحملة الشعواء وتلتصق بمنهج ابن تيمية كل سبة ونقصة ومثلك من غلو وتكفير وتفجير، والغاية هي الطعن بمنهج السلف الصالح الذي هو سر قوة المسلمين، وما يثير الغرابة أن ابن تيمية هو من أبعد الناس عن التكفير حتى قال: هذا مع أنني دائمًا ومن جالسي يعلم ذلك مني.. أنني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية [9] **ومن عجيب صنعه ووسطيته: أنه طلب إطلاق أسارى النصارى من قائد التتار كما طلب إطلاق أسرى المسلمين...** يقول ابن تيمية: وقد عرف النصارى كلهم أنني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان، وقطلو شاه، وخطبته مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهو لاء لا بطلقون. فقلت له بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإننا نفتكم، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله. [10]

وما سطره ابن تيمية من أحكام الردة والحرابة والحدود فإنما نقله من أقوال الأئمة الأربعه وغيرهم مثل الأوزاعي وسفيان

الثوري والليث بن سعد، لكن أعداءنا لا يبحثون عن الحقيقة وصدق قول الله فيهم: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أُنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَاعْلُوًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (14) النمل.

لقد بدأنا نسمع من هنا وهناك في هذا البلد أو ذاك عن منع كتب ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين والألباني وهدف أعدائنا هو ظهور أجيال من أهل السنة تتربي على حلقات الطرف الصوفي تتمايل وتناغم مع التشيع.. كأنه مباحاً. تكون جسراً لليبرالية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.... لكن الله ناصر دينه... فمات ابن تيمية حبساً سجنه.. ولكن مات السجان وبقيت دعوه ابن تيمية ينهل منها كل طالب للحق ومريد للهدي.. وها هي مكتبات العالم زاخرة بكتبه التي أبهرت الباحثين بحسن التقرير وجميل الصنعة ودقة الاستنباط... "يَرِيدُونَ لِيُطْفَلُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُّتَمِّنُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (8) الصف.

[1] تاريخ عجائب الآثار ج 3 ص .. 138.. ط مطبعة دار الكتب المصرية

[2] الدرر الكامنة .. ص 153 ط دار الجليل بيروت

[3] الدرر الكامنة ص 153 ط دار الجليل بيروت

[4] الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص 24 ط مؤسسة الرسالة

[5] الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص 29 ط مؤسسة الرسالة

[6] ابن تيمية السلفي ، للهراش ص 28 ط ... المطبعة اليوسفية بطنطا ط 1952

[7] بيان تلبيس الجهمية نسخة وورد

[8] التنكيل بما تأيّب الكوثرى من الأباطيل ص 366 ط .. الثانية .. المكتب الإسلامي

[9] ج 3 ص 229 ط مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ط . الأوقاف السعودية)

[10] مجموعة الفتاوى ص 336 .. ط دار الوفاء

صيغ الفوائد

المصادر: